(إذا) معانيها واستعمالاتها في اللغة والقرآن الكريم

أ . السيد حسين مسعود ــ قسم اللغة العربية ـ كلية التربية ـ براك الشاطئ .
جامعة سبها

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، أما بعد فهذا بحث وجيز لطيف أردت به تقريب معاني (إذا) وأحكامها لعموم القراء ، وخواص طلاب العربية ؛ إسهاماً في خدمة العربية ، لغة القرآن الكريم ، اللغة الخالدة بخلود كلام الله الملك العلام ، أسميته (إذا) معانيها واستعمالاتها في اللغة والقرآن الكريم .

إن الدافع لدراسة الأدوات الشرطية هو الرغبة في إظهار دورها ومعانيها وما يترتب عليها من قواعد في لغتها العربية ، وذلك كونها عنصراً أساسياً وحيوياً في اللُّغة ، ومن دونها تفقد الجملة العربية جانباً أساسياً من جوانبها المتعددة ، أفردْتُ بحثي هذا بـ(إذا) لأنّها أُمُّ باب أدوات الشرط غير الجازمة ، ولها استعمالات وقواعد متعددة فهي أولى بالتقديم على الأدوات الأخرى.

وقد قسمت هذه الورقة البحثية إلى مطالب ومن ثَمَّ إلى فقرات وإنِّي لأرجو الله العلىَّ القدير أن أكون وفقت في طرحها ومناقشتها فهو وليُّ ذلك والقادرُ عليه .

المطلب الأوَّل ـ (إذا) بين اللغة والاصطلاح :

تعريف (إذَا) لغة : كلمة مَبْنِيَّة على السّكُون[1]، ولها أوصاف ومعاني تبعاً لموقعها في السياق وغرض إيرادها ، بالنظر إلى كونها شرطاً تدخل على المشكوك ، وبالنظر إلى كونها ظرفاً تدخل على المتيقن كسائر الظروف[2]؛ ولذا عرَّفها بعضُهُم بأنَّها أداةٌ ؛ لمجيئها اسمية وحرفية ، فقال :))هي أداة تستخدم فيما يحتملُ وُقُوعه أو عدمُ وقوعِهِ من الأحداثِ[3]((. وأحسن منه وأدلَّ قولُ المرادي :)) لفظٌ مشتركٌ ؛ يكونُ اسماً وحرفاً.[4]((، وبعضُهم نوّع فقال :))إذا : حرفٌ أو ظرفٌ وهو الأشهرُ[5] ((وبعضُهم عرّفها بأحد نوعيها، فقال :)) اسمٌ دالٌ على زمنٍ مستقبل [6]

تعريفها اصطلاحا: تعريف)إذا(في اصطلاح النحاة لا يخرج عن معناها اللُّغوي ؛ لأن الاصطلاح فرعٌ عن اللغةِ بإطلاقٍ، أو تقييدٍ تقتضي الصناعةُ العلميةُ في كلِّ فنٍ من فنون العلم ، ومن ذلك قول بعضهم:) إذا(اسم لما يستقبل من الزمان متضمن معنى الشرط[7] فحدّها بغالب استعمالاتها وهي الاسمية والشرطية ، وهو ديدن كثير من

وُضّاع الاصطلاحات ، حيث إنَّهم يعرفون الشيء بغالبه بناء على أن النادر لا حكم له ، أو هو من باب الحدِّ بالجزء تنبيها على الكل ، الذي لا يخفى على مستقرئ.

(إذا) بين الاسمية والحرفية

(إذا) الاسمية أربعة [8] أقسام :

الأول : أن تكون ظرفاً لما يستقبل من الزمان، متضمنة معنى الشرط ، ولذلك تجاب بما تجاب به أدوات الشرط ، نحو: إذا جاء زيد فقم إليه .ومنه قول امرئ القيس :

إِذَا قَامَتَا تَضَوَّعَ المِسْكُ مِنْهُما نَسِيمَ الصَّبا جَاءَتْ بِرَيَّا القَرَنْفُلِ[9]

فـ(إذا) ظرف لما يستقبل من الزَّمان مُتضمِّنة معنى الشَّرط ، وتجاب بما تجاب به أدوات الشَّرط وكَثُرَ مجيءُ الماضي بعدها ، مراداً به الاستقبال ، ومع تضمنها معنى الشرط ، لم يجزم بها إلاَّ في الشعر[10]، كقول الشاعر:

وإذا تُصِبْكَ خَصَاصَةٌ فارجُ الغِنَى وإلى الَّذِي يُعْطِي الرَّغَائبَ ، فَارغَبِ[11]

الثاني : أن تكون ظرفاً لما يستقبل من الزمان ، مجردة من معنى الشرط ، أي : أنْ تَكُون ظرفية محضة ؛ وذلك لأنَّها لو كانت شرطية لاقتضت جواباً نحو قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ﴾ [12] ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ[13] ﴾، والماضي بعدها في معنى المستقبل كما كان بعد المتضمنة معنى الشرط ومنه قول امرئ القيس :

إذا مَا الثُّرَيَّا في السَّماءِ تَعَرَّضَتْ تَعَرُّضَ أَثْنَاءِ الوِشاحِ المُفَصَّلِ[14]

) إذا) ظرف زمان مُجرد عن الشَّرطية ، مبني على السُّكون في محل نصب ، خافض لشرطه ، منصوب بجوابه ، وشرطُهُ محذوف فـ(الثُّريَّا) فاعل لفعلٍ محذوف تقديره : إذا ما تَعَرَّضَتْ الثُّريَّا في السَّماءِ تَعَرَّضَتْ ... تَجَاوَزْتُ ، وما : زائدة ، والثُّريا : فاعل لفعل محذوف يفسره المذكور بعده ، والفعل المحذوف وفاعله جملةُ الفعليةُ في محلِّ جر بإضافة (إذا) إليها .وجوَّز الأخفشُ وتبعه ابن جني ، وابن مالك وقوع الاسم بعد (إذا) ، وإعراب الاسم بعدها مبتدأ[15]نحو قول الشاعر :

إذا القَوْمُ قَالُوا مَنْ فَتى خِلْتُ أَنَّني عُنِيْتُ فَلَمْ أَكْسَل وَلَمْ أَتَبَلَّدِ[16]

إذا: ظرف لما يستقبل من الزَّمان، مبني على السَّكون في محل نَصب ، وهو خافض لشرطه

القوم : فاعل لفعل محذوف يفسره المذكور بعده ، تقديره : قال القوم ، وهو فعل الشَّرط ، والجملة الفعلية من الفعل المحذوف وفاعله المذكور في محل جرٍّ بإضافة إذا إليها ، وجواب إذا والعامل فيها هو الفعل الماضي خلت ، وعند من جوَّز وقوع الاسم بعد إذا الظَّرفية القوم مبتدأ والجملة الفعلية قالوا خبر للمبتدأ.

وخالف الفراء بقوله :)) لا يكون بعدها الماضي إلاَّ إذا كان فيها معنى الشرط والإبهام [17]((ومنه قوله تعالى:﴿ **وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ** ﴾[18] ﴿ ، كان ينبغي في العربية أن يقال : وقالوا لإخوانهم إذ ضربوا في الأرض ؛ لأنه ماضٍ ... ؛ لأنَّ القولَ وإن كان ماضياً في اللّفظ فهو في معنى الاستقبال.

والرَّاجح ما ذَهبَ إليه جمهورُ النحاةِ من اختصاص إذا الظَّرفية الشَّرطية بالدُّخول على الجملة الفعلية فإن وقع بعدها اسم فهو فاعل لفعل محذوف يفسره ما بعده ، وذلك لتضمن إذا معنى الشّرط وحرف الشَّرط لا يليه إلاَّ الفعل مظهراً أو مضمراً على رأي البصريين، نحو قول امرئ القيس :

وَجِيدٍ كَجِيدِ الرِّيمِ ليسَ بِفاحِشٍ إذَا هي نَصَّتْهُ ولا بِمُعَطَّلِ[19]

إذا : ظرف زمان مجرد عن الشرطية مبني على السكون في محل نصب متعلق بفاحش.

هي : ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع فاعل لفعل محذوف يفسره المذكور بعده ، كان مستتراً فلما حذف الفعل برز ، والفعل المحذوف وفاعله جملة فعلية في محل جرٍ بإضافة إذا إليها.

الثالث : أن تكون ظرفاً لما مضى من الزمان ، واقعة موقع (إذ) ، كقوله تعالى:﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ[20] ﴾ ، وقوله سبحانه:﴿ وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًاۚ [21]، فـ) إذا (في هذا ونحوه ، بمعنى) إذ (هذا مذهب بعض النحويين ، وبه قال ابن مالك :)) وربَّما وقعت موقع إذ ، وإذ موقعها [22]((

الرابع : أن تخرج عن الظرفية ، فتكون اسماً وهي الفجائية ، مجرورة بحتى نحو قول الشاعر :

وَقَفْتُ بِهَا حَتَّى إذا مَا تَرَدَّدَتْ عَمَايَةُ مَحْزُونٍ بِشَوْقٍ مُوَكَّلِ[23]

حتى : على رأي الأخفش هي حرف جرٍ، إذا : ظرف لما يستقبل من الزَّمان خافض لشرطه منصوب بجوابه ، ما : زائدة ، تَرَدَّدَتْ : فعل ماضٍ)شرط إذا(و عَمَايَةُ : فاعل تَرَدَّدَتْ والجملة الفعلية في محل جر بإضافة إذا إليها ، وجواب إذا محذوف تقديره في المعنى ، كقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ[24] ﴾، وأما)إذا (الحرفية فقسم واحد ، وهي الفجائية ، وتختصّ بالجمل الاسمية كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ. [25] ﴾

والرّاجح : إذا اجتمعت) حتى ، و إذا(يلغى عمل إحداهما ، وذلك أن معنى)حتى (يستدعي معنى الغاية وهو نهاية الشيء ، ومعنى) إذا(يتطلب معنى الابتداء ؛ لأنَّ الشرط مثلُ المبتدأ ، ولأنَّ كليهما يقع في ابتداء كلام مستأنف ، وإذا اعتبرنا معنى) حتى(في الجملة صارت الجملة في معنى الغاية ، وإن لم تكن)حتى(دالة على هذا المعنى في جميع أحوالها ، وفي هذه الحالة تفقد)إذا(عملها الشرطي وتبقى تدل على معنى الوقت مجروراً بـ) حتى(وإذا اعتبرنا معنى)إذا (في الجملة صارت الجملة في معنى كلام مستأنف وبقيت (حتى) حرفاً مهملاً دالاً على معنى الابتداء فقط .

حُكْمُهَا وسبَبُ بنائِهَا على السكون

ظرفية شرطية غير جازمة مبنية على السكون في محل نصب مفعول فيه متعلقة بجواب الشرط ، وإنَّها متضمنة معنى الشرط غالباً[26]، ويعلق الخضري بقوله)) : وقد تجرَّدُ عن الشرط ، نحو : ﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ [27]﴾، بدليل خلو جملة :)هُمۡ يَغۡفِرُونَ(من الفاء ؛ لأنَّ)إذا(هنا غير)إذا (المتضمنة معنى الشرط غير الجازمة ، إذ لو كانت شرطية لوجب اقتران الجملة الاسمية بالفاء وهي غير موجودة هنا بتاتا))[28].

هذا إذا كانت)إذا(اسمية ظرفية ، أمّا إذا كانت حرفية وذلك بأن تكون) إذا(الفجائية ، ولسنا على بابها ، وإنَّما نذكرها على سبيل الاستطراد ؛ لمشابهتها)إذا(الظرفية من حيث الشكل والرؤية الظاهرية ، وإنْ كانت مخالفةً لها من ناحية العمل والمعنى ، فإنَّ للعلماء في إعرابها مذاهبَ شتى نوجزها فيما يلي :

يرى الأخفش أنَّها فجاءة لا عمل لها ، وذهب المبرد إلى أنَّها ظرف مكان ، والتقدير التالي يوضح لنا رأي المبرد ، وهو قوله :))خرجت فإذا الأسدُ واقفٌ أي: خرجت

فالأسد واقف بالباب((، وهي عند الزجاج ظرف زمان بالتقدير التالي :))خرجت فالأسد واقف وقت خروجي((و)إذا(الفجائية تأتي في مكان الفاء الرابطة بجواب الشرط نيابة عنها كقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾[29]، والتقدير عند ابن هشام :))إذا دعاكم فاجأكم الخروج في ذلك الوقت .[30]((

و)إذا(الفجائية هي مبنية في جميع أحوالها السابقة كـ)إذا(الظرفية في البناء ، وهي إمَّا لكونها حرفية على رأي الأخفش ؛ لأنَّ الحروف كلَّها مبنية يقول الناظم: ابن مالك رحمه الله :[31]

وكلّ حرفٍ مستحقٌ للبناءِ والأصلُ في المبني أن يسكنا

أو لمشابهتها الحرف على الرأيين الآخرين ؛ لأنَّ كونَّها ظرف زمان أو مكان لا يؤدي إلى الإعراب لوجود الشبه بينها وبين الحرف مما يؤدي إلى بنائها، على خلافٍ هل هي اسمية أم حرفية ؟

وبنيت)إذا (الظرفية ؛ لإبهامها في المستقبل ، وافتقارها إلى جملة تقع بعدها توضحها وتبينها كما كانت الموصولات ، وهي ــ أيضاً ـــ لما فيها من معنى الشرط تشبه أدوات الشرط فبنيت كبنائها ، وأمّا تسكين آخرها ؛ فلأنه لم يلتق فيها ساكنان ، بنيت على السكون باعتباره أصل البناء.[32]يقول ابن مالك :[33]

والاسم منه معرب ومبني لشبه من الحروف مدني
كالشبه الوضعي في اسمي جئتنا والمعنوي في متى وفي هنا
وكالنيابة عن الفعل بلا تأثر وكافتقار أصلا
وكل حرف مستحق للبناء والأصل في المبني أن يسكنا.

وفي نظري أن السؤال عن عدم بنائها على إحدى الحركات الثلاثة : (الكسرة ، الضمة ، ثم الفتحة) غيرُ مناسبٍ وذلك يعود لعدة أسباب منها:

أولا : لا داعي للسؤال عن ذلك ؛ لامتناع الأسباب التي توجبه.

ثانياً : أن الحركة أثقل من السكون ؛ ولهذا بنيت على السكون دون غيرها من الحركات الثلاثة علماً بأنَّ ثقلها يأتي تدريجياً، وذلك ابتداء من الكسرة ، الضمة ، ثم الفتحة ؛ لأنَّها أخفُ الحركات بلا منازعة. ثالثا: أنَّ أسباب البناء التي توجب بناء)إذا(على إحدى

الحركات الثلاثة لا نجد واحدة منها في)إذا(فيستحق البناء على إحداها وأسباب البناء على إحدى الحركات الثلاثة هي :

1- الهروب من التقاء الساكنين في مثل هؤلاءِ وأينَ وكيفَ.
2- الفرار من الابتداء بالساكن تبعاً لقاعدة :)) العرب لا تبتدأ بالساكن ولا تقف على متحرك .((
3- ولعروض البناء مثل: يا رجل ، ولا رجل في الدار، ومن قبل ، ومن بعد، وخمسة عشر[34]

بالإضافة إلى أنَّ الشيء إذا جاء على أصله لا يسألُ عن مجيئه على الأصل، بل يسأل عن علة مجيء الشيء على خلاف الأصل.

وقد تكون حركة البناء فتحة كـ)أينَ(أو كسرة كـ)أمسِ(أو ضمة كـ) حيثُ(مما يفسح المجال للنقاش والسؤال عن مجيء هذه الكلمات الثلاثة على البناء بالحركات الثلاثة خلاف)إذا(المبنية على السكون ؛ لامتناع الأسباب الثلاثة المذكورة ، وعدم وجودها في (إذا) وثباتها في الكلمات الآنفة الذكر.

(إذا) الشرطيّة والأزمنة.

الأصل في (إذا) الشرطية أنْ تكون ظرفاً لما يستقبل من الزمان[35]، كقوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ [36]﴾ولذا اشتُهر أن)إذا(ظرف لما يستقبل من الزمان خافضٌ لشرطه منصوب بجوابه ، وقد تأتي بمعنى)إذْ(التي هي ظرف لما مضى من الزمان قال ابن مالك في شواهد التوضيح :)) وكما استعملت)إذ (بمعنى) إذا (استعملت) إذا(بمعنى) إذ وكقوله تعالى ﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ[38]((. [37]﴾ ، وجاءت)إذا(محتملة لزمني المستقبل والماضي قوله عز وجل : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا.[39] ﴾

قال الصاوي)) : إِذَا : ظرف لما يستقبل من الزمان ، منصوب بـ)سبح(الواقع جوابها ، وهي على بابها إنْ كانت السورةُ نزلت قبل الفتحِ ، فإنْ كان النزولُ بعد الفتح فـ)إذَا(، بمعنى)إذ(، متعلقة بمحذوف تقديره أكملَ اللهُ الأمرَ وأتمَّ النعمةَ على العبادِ.[40]((. وقد تخرج) إذا(عن الاستقبال فترد للحال كما ذكر بعضُ العلماءِ[41]، نحو قوله تعالى :﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ﴾ [42] ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ [43]﴾ ؛ لأن الغشيان

مقارن لليل ، والهوي مقارن للنجم ، وبعضُهُم حملها على معناها الأصلي وهو الاستقبال.[44]

(إذا) الشرطية في القرآن الكريم.

كل ما جاء في القرآن من) وإذا (،) إذا(فيه شرطية إلاَّ في آية واحدة فهي فيها محتملة للظرفية فقط وللشرطية الظرفية [45]، وهي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴾ [46] يقول الشاعر : وَإِذَا الأَمَانَةُ قسِّمَتْ في مَعْشَرٍ أَوْفَى بأَعْظَمِ حَظِّنَا قَسَّامُهَا

إذَا: ظرف لما يستقبل من الزّمان خافض لشرطه منصوب بجوابه ، والأمانة : نائب فاعل لفعل محذوف يفسره المذكور بعده واقع شرطاً لـ(إذا) ، والفعل المحذوف وفاعله جملة فعلية في محل جر بإضافة إذا إليها وجملة (أوفى) جواب إذا لا محلّ لها من الإعراب .هذا على رأي البصريين وهو الصواب - والله أعلم.

المطلب الثاني : (إذا) وما يتعلَّق بها

عامل (إذا) الشرطية .

) إذا (ظرف خافضٌ لشرطه منصوبه بجوابه ، بيد أن فيها مذهبان ، قال السيوطي في الهمع : وَفِي ناصب إذا قَولَانِ :

الأوَّل : أَنَّهُ شَرطهَا، وَعَلِيهِ الْمُحَقِّقُونَ وَاخْتَارَهُ أَبُو حَيَّان حملاً لَهَا على سَائِر أدوات الشَّرْط .

الثَّانِي : أَنه مَا فِي جوابها من فعل وَشبهه ، وَعَلِيهِ الْأَكْثَرُونَ ؛ لما تقدم من أَنَّهَا مُلَازمَة الْإِضَافَة إِلَى شَرطهَا والمضاف إِلَيْهِ لَا يعْمل فِي الْمُضَاف [47]، وأورد ابن هشام في المغني قول زهير:[48]

بدا لي أنِّي لست مدرك ما مضى ولا سابق شيئًا إذا كان جائيا

على إبطال قول من قال : إنَّ ناصب إذا ما في جوابها من فعل وشبهه ؛ لأن تقدير الجواب في البيت: إذا كان جائيًا فلا أسبقه ، ولا يصح أن يقال : لا أسبق شيئًا وقت مجيئه.[49]

إنَّ مطابقة الواقع وعدمها ليست من وظائف النحو، ألا ترى أنه يجوز: لقيت العنقاء، والأرض فوقنا وإن لم يطابق الواقع ؟

لأنَّهُ يمكن تصحيحه بالتأويل بالإرادة أو التقدير، مثل أن يقال : لا أسبق شيئًا وقت إرادة مجيئه أو تقدير مجيئه ، أو قرب مجيئه ، وهو مجاز شائع ويمكن أن يقال : إنَّ النفي فيه راجعٌ إلى القيد ، فيؤول المعنى : لا أسبق شيئًا وقت مجيئه ، بل أسبقه عند عدم مجيئه ، ولا غبار فيه .[50]

إنَّ جمهورَ النُّحاةِ قد أَعملوا الجواب في) إذا(بشرط أنْ يكون صالحاً للعملِ ، فإنْ منعَ عملَهُ مانِعٌ كـ) إذا(الفجائية أو)إنْ(ونحوهما فالعامِلُ حينئذٍ مُقدَّرٌ يدلُّ عليه الجواب .

وعليه فمذهب الجمهور أن)إذا (ظرف خافضٌ لشرطه منصوبه بجوابه متجه ، ويصعب رده وكذلك جلُّ ما عليه مشاهيرُ أهلِ الفنونِ فإنَّهم لا يتفقون على أمرٍ، إلاَّ وله صولة ، وله في قلوب العقلاء مهابة .

جواب (إذا) الشرطية.

استقرأ النُّحاةُ كلامَ العرب فوجدوا أن جوابَ)إذا(الشرطية ثلاثة [51]أمور:

أَحَدُهَا : الْفِعْلُ نَحْو قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ .[52]

وَثَانِيهَا : الفاء الرابطة للجواب فيما لا يصح أن يكون فعل شرط ، كقوله تعالى :إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ[53] ﴾ ، وهي تكون للشيء الذي تلقاه في حال أنت فيها كقولك: خرجت فإذا زيد قائم.

وثالثها : إِذَ(الفجائية ، كقوله تعالى : **ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ إِذَآ أَنتُمۡ تَخۡرُجُونَ** [54]﴾ولأجل كون) إذا(للمفاجأة ناب مناب الفاء الجزائية ، ولولاه لوجب أن يقال: (فأنتم تخرجون) ؛ لأن الجملة الاسمية إذا وقعت موقع جزاء الشرط وجب دخول الفاء عليها ؛ إيذانًا بأنَّها الْجَزَاء ، وقد يجتمع) إذا(للمفاجأة مع الفاء للتأكيد مثل: ﴿ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ [55]﴾ وقد ينفرد مثل: ﴿ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ.[56]﴾

إذا للمفاجأة نائب مناب الفاء في الجزاء[57]، وعليه فقول بعضهم : وتقوم)إذا(مقام الفاء في جواب)إن(الشرطية فقط ، غير صواب ، وكذا قول آخر: ويشترط في نيابة)إذا(عن الفاء أن تكون أداة الشرط) إن(، وأن تكون جملة الجواب اسمية كالآية السابقة ؛ لأن)إذا(هي أداة الشرط في آية الروم الأولى .

جواب (إذا) الشرطية بين الذكر والحذف.

الأصل في جواب)إذا(وغيرها من أدوات الشرط أن يكون مذكوراً ، وتالياً لجملة فعل الشرط لتلازم جملتي الشرط لفظاً ومعنى ، غير أنَّه قد يُذكر شرط) إذا(فلا يُسمى جوابه ؛ لدلالة ما تقدم عليه عند البصريين ، نحو قول الشاعر :

تَــرَّاكُ أَمْكِنَـةٍ إِذَا لـمْ أَرْضَـهَـا أَوْ يَعْتَلِقْ بَعْضَ النُّفُوسِ حِمَامُهَا [58]

ففي البيت جواب إذا محذوف لدلالة ما قبله عليه ومثله قول عنترة :

أَثْنِي عَلَيَّ بِما عَلِمْتِ فإنّني سَهْلٌ مُخَالَقَتِي إِذَا لمْ أُظْلَمِ [59]

إنْ اعتُبرت (إذا) شرطية فالفعل (أُظْلَم) فعل شرطها ، وجوابها محذوف لدلالة الكلام عليه والتقدير: إذا لم أظلم فإنني سهل[60]، خلافا للكوفيين المجوزين تقدم جواب الشرط على فعله. [61]

قال الشاعر :

نُطَاعِنُ مَا تَرَاخَى النَّاسُ عنَّا وَنَضْرِبُ بالسُّيُوفِ إِذَا غُشِيْنَا [62]

أي : إِذَا غُشِيْنَا نَضْرِبُ بالسُّيُوفِ ، وقد استقرأ العلماءُ[63] جواب)وإذا (الشرطية في جميع القرآن فوجدوه مذكوراً إلاَّ في ثلاثة مواضع حذف فيها الجواب لدلالة المقام عليها وفق مذهب البصريين، وهي:

1. ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ [64]﴾
2. ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ . [65] ﴾ وتالياتها.
3. ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ . [66] ﴾ وتالياها.

وللعلماء في جوابها أقاويل تنظر في مطولات كتب معاني القرآن وإعرابه وتفسيره.

جوابُ (إذا) الشرطيّة في علوم الوقف والابتداء.

جواب) إذا(الشرطية يتوقف عليه معنى فعل الشرط ، فلا ينبغي الوقوف عليه عند أكثر علماء الوقف لنظرهم إلى المعنى والإعراب ، وبعضُهُم أجازَ الوقوف دون الجواب ؛ لعمله بقاعدة الوقوف على رؤوس الآي[67]،من أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ[68]﴾ وتالياتها جوابها :﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ[69]﴾ ، قال ابن النحاس في القطع والائتناف :﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ [70]﴾ التمام عند الأخفش وأبي حاتم ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴾ قال أبو حاتم : ((وليس فيها دون ذلك تمام تام ولا كاف)) [71]

ونحوه قوله تعالى﴿ :إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَت[72]﴾ ، وتالياتها جوابها :﴿ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ [73]﴾قال السجاوندي :)) لا وقف مطلقًا إلى قوله :﴿ وَأَخَّرَتۡ ﴾ ؛ لأن عامل) إذا (قوله : ﴿ عَلِمَتۡ [74]﴾((.﴿ ، ومن أشهر من التزم بهذا في وقوفه الهبطي في كتابه تقييد الوقف المعمول به في أمصار المغرب الإسلامي ليوم الناس هذا.

(إذا) وإضافتها.

الأكثر في)إذا (كما تقدم أن تكون ظرفاً للمستقبل متضمنة معنى الشرط ، وتختص عند الأكثرين بالدخول على الجملة الفعلية[75]، عكس)إذا(الفجائية تماماً ، فإذا كانت للمفاجأة فيلزم بعدها المبتدأ [76]

قال ابن مالك في ألفيته في باب الإضافة ، فرع الأسماء التي تلازم الإضافة إلى الجمل ، كـ)إذا(ناصاً على أنَّها تضاف إلى جمل الأفعال : وَأَلْــزَمُــوا "إذا" إضــافَــةً إلـــى جُمَلِ الأفعَالِ كـ(هُنْ إِذَا اعتَلَى)[77]

ويرى الأخفش والكوفيون جواز دخولها على الجملة الاسمية ، فالاسم الواقع بعدها على رأيهم مبتدأ والفعل بعده خبره ، فالاسم الواقع بعد)إذا(إمّا أن يكون اسماً ظاهراً أو ضميراً فإن كان الواقع بعدها اسماً ظاهراً فهو أمَّا أن يكون فاعلاً أو نائباً عنه أو مفعولا به لفعل محذوف وجوباً يفسره المذكور بعده خلافاً للأخفش الذي أجاز كون الواقع بعدها مبتدأ[78] ، هذا إذا كان في الجملة فعل يفسره المذكور بعدها، أمَّا إذا لم يكن في الجملة فعلٌ قدرت)كان (محذوفة ، أمَّا إن كان الواقع بعدها مباشرة ضميراً فإنَّهُ يعرب توكيداً ؛ أي : مؤكداً لفاعل الفعل المحذوف.

ويقول الأشموني في شرحه على الألفية بعد أن ذكر ملازمة)إذا(الإضافة إلى جمل الأفعال يقول في هذا الصدد مؤكدا أن الاسم الواقع بعدها فاعل لفعل محذوف دلَّ عليه الفعل المذكور بعده ما مفاده ، وأمّا نحو :﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ[79]﴾ ، فمثل:﴿ وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥ[80]﴾ وهو مذهب سيبويه ووافقه في ذلك الأخفش تمسكاً بالظاهر، كذا نقل ابن مالك في شرح التسهيل[81]، ومثال ما يوضح القاعدة قول السمين الحلبي في الدّر المصون عند إعرابه قوله تعالى: ﴿ إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ[82] ﴾ ، قوله ﴿ :إِذَا ٱلشَّمۡسُ ﴾ في ارتفاع ﴿ ٱلشَّمۡسُ ﴾ وجهان :[83]

أوَّلهما : أنَّها مرفوعةٌ بفعلٍ مقدرٍ مبنيٍّ للمفعول ، حُذِف وفَسَّره ما بعده على الاشتغالِ ، والرفعُ على هذا الوجهِ أعني إضمارَ الفعل واجبٌ عند البصريين ؛ لأنهم لا يُجيزون أَنْ يَلِيَها غيرُه ، ويتأوَّلون ما أَوْهَمَ خلافَ ذلك .

الثاني: أنَّها مرفوعةٌ بالابتداء، وهو قول الكوفيين والأخفش لظواهرَ قد جاءَتْ في الشعر، وانتصر له ابنُ مالك . ومنه قول لبيد :

وَإِذَا الأَمَانَةُ قسِّمَتْ في مَعْشَرٍ أَوْفَى بِأَعْظَمِ حَظِّنَا قَسَّامُهَا [84]

سَبَبُ ملازمَةِ (إذا) للإضافة.

) إذا(الظرفية تكون مبنية دائماً لما فيها من معنى الإبهام في المستقبل وافتقارها إلى جملة فعلية بعدها وفيما يتعلق بإبهامها مما أدى إلى بنائها من جهة وإلى ملازمتها الإضافة بشكل دائم ومستمر من جهة أخرى[85] ، إن)إذا و إذ (في غاية من الإبهام والبعد عن شبه الأسماء والقرب من الحروف لعدم الاشتقاق وقلة حروف اللَّفظ وعدم التمكن وغير ذلك ، فلولا إضافتها إلى الفعل الذي يبني للزمان ويفتقر إلى الظروف لما عرف فيها معنى الاسم أبداً إذ لا تدل واحدة منها على معني في نفسها ، إنَّما جاءت لمعنى في غيرها[86] ، فإذا قطعت عن ذلك المعنى تمحض معنى الحرف ، و)إذا(ثلاثة أحرف فكان ما هو أقلّ حروفاً في اللَّفظ أولى بالزيادة فيه وإضافة الأوقات إليه زيادة فيه ؛ لأنَّ المضاف والمضاف إليه بمنزلة اسم واحد.

المطلب الثالث : (إذا) وما يتعلق بجملتيها .

جملتا (إذا) الشرطيّة وحكمهما.

تأتي بعد) إذا (الظرفية المتضمنة معنى الشرط دائماً جملتان ظاهريتان كانتا أو مقدرتين تسمى الأولى منهما بجملة الشرط ، والثانية بجملة الجواب ، وقد يكون الجواب جملة فعلية ، أو جملة اسمية خلاف جملة الشرط ، إذ لا يجوز وقوع الاسم بعد)إذا(خلافاً للأخفش والكوفيين ، وإذا كانت) إذا (ظرفية بمعنى) حين (أي : غير متضمنة معنى الشرط فلا تحتاج إلى جواب [87]نحو قول الشاعر :

يَكَادُ يَصْرَعُهَا لَولاَ تَشَدُّدُهَا إِذَا تَقَومُ إلى جَارَتِهَا الكَسَلُ [88]

وفيما يتعلق بنوعي الجملة أقول : ولا يشترط في جملتي الشرط والجواب أن يكونا ماضيين، بل يجوز أن يكونا ماضيين مثل:□ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ ونأى بِجَانِبِهِۦ [89]□

أو مضارعين مثل :□ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا [90] □

أو مختلفين مثل : ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ [91] ﴾
أو ماضياً وأمراً نحو : ﴿ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ [92] ﴾

وجملة الشرط سواء أكانت فعلية أم اسمية على رأي الأخفش ، فهي في محل جر بالإضافة أي : بإضافة) إذا(إليها ؛ لأنَّ (إذا) كما هو مذكور في المواضع السالفة الذكر من الأسماء التي تلزم الإضافة والتي لا تضاف إلاَّ إلى جملة فعلية على اختلاف في ذلك. [93]

أمَّا بالنسبة لجملة جواب الشرط فلا محل لها من الأعراب[94]، ذكرنا سابقاً أنَّ العلماءَ اختلفوا في العامل أو الناصب فيها ، هل هو الجواب أم الشرط ؟ كما ذكرنا ـــ آنفا ـــ أنَّ محل الشرط هو الجر بالإضافة شريطة أن يكون الجواب في هذه الحالة هو العامل فيها ، كما ذكرنا أيضاً أن الجواب لا محل له من الإعراب.

ولكن أمامنا هذا السؤال التالي : كيف يكون محل إعراب فعل الشرط إذا كان هو العامل فيها ، وهل معنى ذلك أن فعل الشرط يكون عاملاً ومعمولاً في آن واحد ؟

الآن كون الشرط ناصبها ومتعلقها معناه أنَّهُ هو العامل فيها ، وكون الشرط في محل جر بإضافة)إذا(إليه معناه ـــ أيضاً ـــ أنَّه معمولها ، وهو في الوقت نفسه شرطها ، وكيف يكون ـــ أيضاً ـــ محل إعراب الجواب وهو في محل جر بإضافة) إذا (إنْ كان فعل الشرط هو الناصب والمتعلق به وأخذ مأخذ الشرط من الإعراب ، والشرط أخذ مأخذ الجواب من الإعراب ؛ لأنه أخذ حكم الجواب والجواب في محل جر بالإضافة ؛ لأنَّهُ أخذ كذلك حكم فعل الشرط ! .

وإجابة عن هذه الإشكاليات : قيل : عامل)إذا(هو الجواب ، وعليه تكون)إذا(مضافة إلى شرطها وقيل : عاملها هو الشرط ، وعليه فهي مقدمة من تأخير، وجملة شرطها لا محل لها من الأعراب .

يقول محمد الأنطاكي : إذا تضمنت إذا معنى الشرط ففي متعلقها مذهبان :
أحدهما : يعلقها بالجواب ويجعلها مضافة إلى جملة الشرط .
وثانيهما يعلقها بجملة الشرط ، فلا تكون عنده مضافة إلى شيء. [95]

وبالرأي الأول تكون الجملتان لا محل لهما من الأعراب ، وبالرأي الأخير تكون جملة الشرط لا محل لها من الإعراب ؛ لأنها متأخرة معنى متقدمة لفظاً ، وجملة الجواب في محل جر بالإضافة لأنَّها متقدمة معنى أي : قائمة مقام الشرط في المعنى متأخرة لفظاً .

والذي يبدو لي أن الظروف في العربية لا تستغني عن متعلق تتعلق به ؛ لأنَّها ضعيفة ، فإذا عرفنا ذلك فإن) إذا(باعتبارها في جملة الظروف الزمانية من غير مجادلة ولا منازعة بالإضافة إلى أنَّها من الأسماء التي تلازم الإضافة فلابد لها من متعلق تتعلق به ، ومتعلقها هذا إمَّا أنْ يكون فعلَ الشرطِ أو جوابه ولا نجد غيرهما ، فإذا افترضنا أنَّ العامل فيها هو الشرط فإنَّ جملة الجواب في محل جر بالإضافة وإذا افترضنا عكس المذكور فإنَّ جملة الشرط في محل جر بالإضافة ؛ لأنه معمول لـ)إذا (والله أعلم.

جزم المضارع بعد (إذا) الشرطية :

ذكر النّحاة لجزم الفعل المضارع الواقع بعد) إذا(بيتين قديمين من الشعر :

أولهما : وَإِذا تُصِبْك خصَاصَة فارج الْغنى وَإِلَى الَّذِي يُعْطي الرغائب فارغب [96]

جزمت إذا في البيت فعل)تُصِبْك(، وهو شاذ يحفظ ولا يقاس عليه.

ثانيهما : استغن ما أغناك ربُّكَ بالغنى وإذا تُصِبْكَ خصاصةٌ فتجمَّلِ

وكونها جازمة الفعل المضارع نادر، ولم يرد ذلك إلاَّ في الضرورة الشعرية ، ووجه ذلك أنَّ إصابة الخصاصة من الأمور المترددة ، وهي ليست موضع (إذا) فكانت بمعنى (إنْ) ولم يستدل على جانب الظرفية اكتفاءً بدليلهما .[97]

من معاني (إذا) غير المنصوص عليها .

أن تكون) إذا(بمعني)لو(وذلك كقول الشاعر : [98]

أمـلـح الـخـلـق إذا جـردتـهـا غير سمطين عليهما وسؤر

لحسبت الشمس في جلبابها قد تبدت من غمام منسفر

ففي البيت ضمنّت) إذا(معنى)لو(بدليل وقوع اللام في جوابها ؛ لأنَّ اللام لا تقع في جواب)إذا(وتقع في جواب)لو[99](، وقد حمل عليها بعضُ المفسرين معنى) إذا (في قوله تعالى: وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ[100] ، فقال :)) إذا ـــ هنا ـــ بمعنى (لو) تحقيقاً لنفاقهم وأنَّهُم على حال تقتضي أنَّهم لو قيل لهم كذا قالوا كذا كما قيل [101]((

(إذا) و(ما) الزائدة.

كثيراً ما تزاد بعدها) ما (زائدة نحو: إذا ما رأيت زيداً فسلم عليه ، والمنصوب بعد) إذا(لا ينصب إلاَّ على الاشتغال بشرط أن يتقدم المفعول مثل: إذا زيداً رأيته فسلم

عليه[102]، وزيادة) ما(بعد) إذا(لا تخلو عن الفائدة وإنَّما زيدت لإفادة معنى تقوية ظرفية) إذا (وتوكيدها ، نحو قول طرفة بن العبد :

حُسَامٍ إذَا مـا قُمْتُ مُنْتَصِراً بِـهِ كَفَى العَوْدَ مِنْهُ البَدْءُ لَيْسَ بِمُعْضَدِ [103]

وكلُّ ما قيل في عرف النحاة إنَّه زائد في كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم وكلام العرب نثره ونظمه ، إنَّما زيادته من جهة الإعراب ، لا المعنى ، وقد اطلعت على كلام للزركشي في البرهان ينبغي إثباته هنا لمن أراد التثبت واليقين.

قال:)) وَاعْلَمْ أَنَّ الزِّيَادَةَ وَاللَّغْوَ مِنْ عِبَارَةِ الْبَصْرِيِّينَ وَالصِّلَةَ وَالْحَشْوَ مِنْ عِبَارَةِ الْكُوفِيِّينَ قَالَ سِيبَوَيْهِ عقب قوله تعالى □ :فبما نقضهم □ : إنَّ) مَا (لَغْوٌ لِأَنَّهَا لَمْ تُحْدِثْ شَيْئًا، وَالْأَوْلَى اجْتِنَابُ مِثْلِ هَذِهِ الْعِبَارَةِ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى فَإِنَّ مُرَادَ النَّحْوِيِّينَ بِالزَّائِدِ مِنْ جِهَةِ الْإِعْرَابِ لَا مِنْ جِهَةِ الْمَعْنَى ... وَقَدِ اخْتُلِفَ فِي وُقُوعِ الزَّائِدِ فِي الْقُرْآنِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَنْكَرَهُ قَالَ الطرطوسي فِي) الْعُمْدَةِ (: زَعَمَ الْمُبَرِّدُ وَثَعْلَبٌ أَنَّا صِلَةَ فِي الْقُرْآنِ وَالدَّهْمَاءُ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْفُقَهَاءِ وَالْمُفَسِّرِينَ عَلَى إِثْبَاتِ الصِّلَاتِ فِي الْقُرْآنِ وَقَدْ وُجِدَ ذَلِكَ عَلَى وَجْهٍ لَا يَسَعُنَا إِنْكَارُهُ فَذُكِرَ كَثِيرًا ، وَقَالَ ابْنُ الْخَبَّازِ فِي التَّوْجِيهِ : وَعِنْدَ ابْنِ السَّرَّاجِ أَنَّهُ لَيْسَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ زَائِدٌ لِأَنَّهُ تَكَلُّمٌ بِغَيْرِ فَائِدَةٍ وَمَا جَاءَ مِنْهُ حَمَلَهُ عَلَى التَّوْكِيدِ، وَمِنْهُمْ مَنْ جَوَّزَهُ وَجَعَلَ وُجُودَهُ كَالْعَدَمِ وَهُوَ أَفْسَدُ الطُّرُقِ.[104]((

خروج (إذا) عن الظرفية بين الجواز والمنع

قال قوم إنَّ) إذا(تخرج عن الظرفية ، فإن مالك رحمه الله يقول : إنَّها وقعت مفعولاً به في حديث:))إنِّي لأعلم إذا كنت على راضية وإذا كنت على غضبى[105]((، ومبتدأ في قوله تعالى □ :إِذَا وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ[106] وأن) إذا (الثانية هي خبر المبتدأ وقوله □ :خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ [107] □بالنصب منصوبات على الحال ، ومعني الآية الكريمة :) وقت وقوع الواقعة خافضة لقوم رافعة لآخرين : هو وقت رج الأرض (وقد تكون)إذا(مجرورة بـ)حتى (في قوله تعالي :□ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا □، ولكن الجمهور أنكروا ذلك كله قائلين : بأن (حتى) في الآية الكريمة حرف ابتداء داخل على الجملة بأسرها ولا عمل لها، و)إذا(وقعت ظرفاً جوابه محذوف تقديره : انقسمتم انقساماً وكنتم أزواجاً، و)إذا(الثانية بدل من الأولى ، و)إذا(في الحديث الشريف هي ظرف ـــ أيضاً ـ لمحذوف هو: أعلم شأنك[108] ، بيد أن ما قاله ابن مالك ـ وإن ردَّه الجمهور ـ فإنّ الظاهر أنَّه وافق فيه الأخفش والزمخشري في الآية الثانية ، وابن جني في الآية الأولى[109]، وكفى بهم نصيرا.

المطلب الرابع : الفرق بين (إذ) وأشباهها.

الفرق بين) إذا (الظرفية) إذا (الفجائية

) إذا(الظرفية تكون عاملة ومعمولة في آن واحد ؛ أي: إنَّها عاملة على الشرط ومعمولة أيضاً بجوابها إذ كانت متعلقة به على الأرجح ، و)إذا (الفجائية خلاف ذلك.

و)إذا (الشرطية اسمية ، أما)إذا(الفجائية ، فهي حرفية على المشهور، ويلي) إذا (الفجائية الجملة الاسمية نحو قوله تعالى : ﴿ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾[110] ، وقوله تعالى : ﴿ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴾[111]، أما)إذا(الظرفية فيليها الفعل ، فإن تليَها ما ظاهره اسم قُدر له على الأرجح فعل محذوف يفسره المذكور بعده ، وقد سبقت الإشارة إلى اختلاف النحاة في ذلك.

)إذا (الشرطية تحتاج إلى جواب ، والفجائية لا تحتاج إلى جواب .

) إذا(الظرفية للمستقبل غالباً، وتتضمن معنى الشرط خلافا لـ)إذا (الفجائية ، التي تدل على الحال.

الجملة بعد)إذا(الشرطية في محل جر مضاف إليه أما بعد الفجائية فهي استئنافية لا محل لها من الإعراب.

الفرق بين (إذا) الظرفية و(إذَن) الناصبة الجوابية .

(إذا) الناصبة تكتب بالنون على رأي(إذن) وهي حرف جواب وجزاء ونصب واستقبال وهي كلمة مبنية على السكون لا محل لها من الإعراب ، وينصب الفعل المضارع بعدها إذا توافرت فيه شروط :

1- أن يكون الحرف عبارة عن دمج (إذا) مع حرف (أن) ويقال أنَّ السبب في نصب هذا الحرف للفعل المضارع هو (أن. (

2- إذا وقعت بعد (واو) ، أو (فاء) فيجوز ــ هنا ــ نصب الفعل المضارع واستخدام (إذن) ؛ أي : الإعمال بها أو إلغاء حكم (إذن) واستخدام (إذا) بدلاً عنها ، نحو:(إنْ تَأتِني آتِكَ ، وإذاً أُكرِمْكَ) فيجوز نصب الفعل أو رفعه أو جزمه.

و أمَّا (إذا) الشرطية فتكتب بالألف قولاً واحداً وهي مفتقرة إلى جملتي الشرط والجواب[112]، بينما الجوابية تكتب بالتنوين دائماً وهي حرف زائد أيضاً[113]، قال ابن هشام نقلاً عن الفراء :)) أن) إذًا(إن كانت ناصبة كتبت بالألف ، وإلا كتبت بالنون فرقاً بينها وبين)إذاً(الشرطية والفجائية وقد تلخص في كتابة)إذًا(ثلاثة مذاهب : بالألف مطلقاً الاعراب ؛ لأنه حرف ، أمَّا إذا كانت ناصبة فإنَّها تكتب

بالنون و) إذا(المنونة تقع جواب)لو(، و)إن(، وتفيد في هذه الحالة معنى التقوية والتوكيد ، قال الشاعر:

فلو خلد الكرام إذا خلدنا ولو بقي الكرام إذا بقينا

نلاحظ أن) إذا(في البيتين أي : في الشطر الأول من البيت وفي الشطر الثاني منه وقعت في جواب) لو(، وهي حرف جواب زائد ؛ لإفادة التوكيد ، ولتقوية المعنى ، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ ﴾[114]، قال بعض النحويين :)) إن وجود اللام في جواب)إذا (دليل على وجود) لو(مقدرة قبلها ويكون التقدير كالآتي : لو كان معه إله ، لذهب كل إله بما خلق[115]

الفرق بين (إذا) و(إن) الشرطيتين.

تتفق)إذا (و) إن(الشرطيتان في أنَّهما يطلبان شرطاً وجواباً، وكلٌ منهما يطلب فعلاً، فإذا وقع بعدهما اسم قُدّر له فعل يفسره من جنس الفعل الظاهر على رأي جمهور البصريين ، خلافا للكوفيين والأخفش المجوزين تلو الاسم لهما، في أمثال قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ[116]﴾ وقوله ﴿ : إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَت[117]﴾، ويختلفان في أمور منها :

أولها: أن) إذا(لا تدخل إلا على متحقق ، أما) إن(فلا تدخل إلا على مشكوك في وقوعه، اللَّهم إلاَّ إذا كان المتوقع مبهما جاز، قال الزركشي:)) لَا يَجُوزُ إِنْ طَلَعَتِ الشَّمْسُ آتِيكَ ؛ لِأَنَّ طُلُوعَ الشَّمْسِ مُتَيَقَّنٌ ، ثُمَّ إِنْ كَانَ الْمُتَيَقَّنُ الْوُقُوعِ مُبْهَمَ الْوَقْتِ جَازَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ [118] ﴾ ، ونظائره[119]((، قال الشاعر :

إذا أَقْبَلَتْ قالوا : تأخرَ رَحْلُها وإنْ أَدْبَرَتْ قَالوا : تَقَدَّمَ فاشْدُدِ[120]

وتفسير قوله تعالى: ﴿ **فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ** ﴾[121]

قال ابن عاشور:)) وَجِيءَ فِي جَانِبِ الْحَسَنَةِ بِـ) إِذَا(الشَّرْطِيَّةِ ؛ لِأَنَّ الْغَالِبَ فِي) إِذَا (الدَّلَالَةُ عَلَى الْيَقِينِ بِوُقُوعِ الشَّرْطِ أَوْ مَا يَقْرُبُ مِنَ الْيَقِينِ كَقَوْلِكَ : إِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ فَعَلْتُ كَذَا، وَلِذَلِكَ غَلَبَ أَنْ يَكُونَ فِعْلُ الشَّرْطِ مَعَ) إِذَا(فِعْلًا مَاضِيًا لِكَوْنِ الْمَاضِي أَقْرَبَ إِلَى الْيَقِينِ فِي الْحُصُولِ مِنَ الْمُسْتَقْبَلِ، كَمَا فِي الْآيَةِ، فَالْحَسَنَاتُ أَيِ: النِّعَمُ كَثِيرَةُ الْحُصُولِ تَتَتَابَعُهُمْ مُتَوَالِيَةً مِنْ صِحَّةٍ وَخِصْبٍ وَرَخَاءٍ وَرَفَاهِيَةٍ.

وَجِيءَ فِي جَانِبِ السَّيِّئَةِ بِحَرْفِ)إِنْ (؛ لِأَنَّ الْغَالِبَ أَنْ تَدُلَّ) إِنْ(عَلَى التَّرَدُّدِ فِي وُقُوعِ الشَّرْطِ أَوْ عَلَى الشَّكِّ ، وَلِكَوْنِ الشَّيْءِ النَّادِرِ الْحُصُولِ غَيْرَ مَجْزُومٍ بِوُقُوعِهِ ، وَمَشْكُوكًا فِيهِ، جِيءَ فِي شَرْطِ إِصَابَةِ السَّيِّئَةِ بِحَرْفِ)إِنْ(لِنُدْرَةِ وُقُوعِ السَّيِّئَاتِ ؛ أَيِ: الْمَكْرُوهَاتِ عَلَيْهِمْ ، بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْحَسَنَاتِ ؛ أَيِ: النِّعَمِ وَفِي ذَلِكَ تَعْرِيضٌ بِأَنَّ نِعَمَ اللَّهِ كَانَتْ مُتَكَاثِرَةً لَدَيْهِمْ وَأَنَّهُمْ كَانُوا مُعْرِضِينَ عَنِ الشُّكْرِ.[122]((، وهو مع طوله حسن إيراده ؛ لروعة ما فيه من البيان والايضاح .

ثانيها: أنّ) إن(تجزم فعلي الشرط والجزاء، وهذا شاذٌ في) إذا.(

ثالثها: أن) إذا من ألفاظ العموم[123]؛ لأنَّها اسم شرط ، بيد أن (إن) حرف

الهوامـــــــــــــش :

(1) ـ المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية :11 (باب الهمزة) ، مكتبة الشروق الدولية ، ط/4 ،1425هـ /2004م.

2 ـ ينظر : الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية) لأبي البقاء أيوب بن موسى الكفوي :70، تح: عدنان درويش ، ومحمد المصري ، مؤسسة الرسالة ، ط/2 ، 1419هـ /1998م.

(3) ـ المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، محمد الأنطاكي:2/54-55، دار الشرق بيروت ط/3.د.ت (بتصرف)

(4) ـ الجنى الداني في حروف المعاني ، الحسنبن قاسم المرادي : 367،تح:فخرالدين قباوة ، محمد نديم فاضل ، دارالكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، ط/1، 1413ه/1992م .

(5) ـ معجم متن اللغة ، للشيخ أحمد رضا :1/ 157، دار مطتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، 1377ه/1958م .

(6) ـ ينظر : شرح المفصل لابن يعيش:2/95. عالم الكتب ، بيروت، د.ط.ت.

(7) ـ كتاب العين ، للفراهيدي ، 1/61 ، (باب الهمزة)، تح : عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ، ط/1 ، 1424ه/2002م .

(8) ـ الجنى الداني في حروف المعاني: 367.

9 ـ ديوان امرئ القيس:25، تح : عبدالرحمن المصطاوي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان، ط/2 ،1425ه/2004م.

10 ـ ينظر: شرح التسهيل لابن مالك :2/ 210، تح : عبدالرحمن السيد ، محمد بدوي المختون ، هجر للطباعة والنشر ، مصر ، ط/1، 1410هـ/1990م.

11 ـ البيت من شواهد مغني اللبيب لابن هشام الأنصاري 1/93. تح: محمد محي الدين عبدالحميد، دار الطلائع ، د.ط.ت.

(12) سورة الليل:1.

(13) سورة النجم:1.

14 ـ ديوان امرئ القيس :36

15 ـ ينظر: الخصائص لابن جني :1/105 ، تح : محمد علي النجار ، المكتبة العلمية ، القاهرة ، ط/2 ، 1952م. وشرح التسهيل 2/155 .

16 ـ ديوان طرفة بن العبد : 31 ، تح : حمدو طماس ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط/1 ، 1424هـ/2003م.
17 ـ معاني القرآن للفراء:243/1 ، عالم الكتب ، بيروت ، ط/1403،3ه/1983م
(18) ـ سورة آل عمران:156.
19 ـ ديوان امرى القيس :43 .
(20) ـ سورة التوبة:92.
(21) ـ سورة الجمعة:11.
(22) ـ شرح التسهيل لابن مالك:210/2.
23 ـ نسبه صاحب فتح الكبير المتعال لامرئ القيس ولم أجده في ديوانه ينظر: فتح الكبير المتعال إعراب المعلقات العشر الطوال :40/1، محمد علي طه الدَّرة ، جدّة ، ط/2 ، 1409هـ/1989م.
(24) ـ سورة الزمر:73.
(25) سورة الأعراف:201.
(26) ـ ينظر: وهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، للسيوطي :131/2 ، تحقيق : أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، ط/1، 1418ه/1998م.
(27) سورة الشورى:37.
(28) ـ ينظر: حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك:510/1، تح: يوسف الشيخ محمد البقاعي ، دار الفكر ، ط/1، 1424هـ/2003م.
(29) سورة الروم:25.
30 ـ ينظر: مغني اللبيب :87/1-88.
31ـ ألفية ابن مالك في النحو والتصريف ، لابن مالك الأندلسي :72، تحقيق : سليمان بن عبدالعزيز ، مكتبة دار المنهاج ، الرياض د.ط.ت .
32 ـ ينظر: شرح المفصل 56/4-59 .
33 ـ ألفية ابن مالك :71- 72.
(34) ـ ينظر: شرح المفصل: 82/3.
35- همع الهوامع :131/2.
(36) سورة يونس:47.
(37) سورة التوبة:92.
(38) ـ شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح لابن مالك الأندلسي:63،تح:طه محسن ، مكتبة ابن تيمية ، ط/2، 1413ه.
(39) سورة النصر:1- 3.
(40) ـ حاشية الصاوي على تفسير الجلالين للشيخ أحمد بن محمد الصاوي:440/4 ، تح : محمد عبد السلام شاهين ، دار الكتب العلمية ،بيروت، ط/4 ،1427ه/2006م.
(41) ـ ينظر: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي:318، تح : مصطفى شيخ مصطفى ، مؤسسة الرسالة ، دمشق ، سوريا ، ط/1 ، 1429ه/2008م. ، ، ومعترك الأقران في إعجاز القرآن ، للسيوطي :50/2، تح: أحمد شمس الدين دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، 1408ه/1988م.
(42) سورة الليل:1.
(43) سورة النجم:1.
(44) ـ ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني : 367

(45) ـ دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، محمد عبد الخالق عضيمة ،1/ 205 : دار الحديث ، القاهرة ، د.ط.ت .
(46) سورة المعارج:19 ـ 20.
(47) ـ الإتقان في علوم القرآن للسيوطي:318.
(48) ــ ديوان زهير بن أبي سُلمى ، 76 ، تح : حمدو طماس ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط/2، 1426ه/2005م.
(49) ـ مغني اللبيب : 96/1.
(50) ـ ينظر: شرح أبيات مغني اللبيب للبغدادي :242/2 ، تح:عبد العزيز رباح ، أحمد يوسف دقاق ، دار المأمون ، دمشق ، ط/2 ، 1414ه/1993م.
(51) ـ ينظر: البرهان في علوم القرآن ، للزركشي : 176/4،تح : يوسف عبدالرحمن المرعشي، وآخرون ، دار المعرفة بيروت ، لبنان ، ط/1 ، 1410ه/1990م.
(52) سورة البقرة:14.
(53) سورة الأعراف:201.
(54) سورة الروم:25.
(55) سورة يس:29.
(56) سورة الروم:36.
(57) ـ حاشية ابن التمجيد على البيضاوي :15/ 129، تح : عبد الله محمود محمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ط/1 ، 1422ه/2001م.
58 ـ ديوان لبيد بن ربيعة : 113 ،تح : حمدو طماس ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط/1 ، 1425ه/2004م.
59 ـ ديوان عنترة بن شداد : 205 ، تح : محمد سعيد مولوي ، المكتب الإسلامي ، القاهرة ، ط/1 ، 1390ه/1970م.
60 ـ ينظر : فتح الكبير المتعال : 190/2.
(61)ـ ينظر: المساعد على تسهيل الفوائد :90/3، تح : محمد كامل بركات ، دار الفكر، دمشق ، ط/1 1402ه/1982م.
62 ـديوان عمرو بن كلثوم : 74 ، تح : اميل بديع يعقوب ، دار الكتاب العربي ، ط/2 ، 1416هـ/1996م .
(63) ـ ينظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم :206/1.
(64) سورة يس:45.
(65) سورة المرسلات:8.
(66) سورة الانشقاق:1.
(67) ـ في المكتفى في الوقف والابتدا لأبي عمرو الداني :231، تح: جمال الدين محمد شرف ، دار الصحابة للتراث ، القاهرة د.ط 2006 م.
(68) سورة التكوير:1.
(69) سورة التكوير:14.
(70) سورة التكوير:1.
(71) ـ القطع والائتناف لأبي جعفر أحمد بن إسماعيل النحاس ، 792/2 ، تحقيق : عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي ، دار عالم الكتب الرياض ، ط/1 ، 1413ه/1992م.
(72) سورة الانفطار : 1.

(73) سورة الانفطار : 5 .
(74)- علل الوقوف للسجاوندي : 1100/3،تح : محمد بن عبدالله بن محمد ، مكتبة الرشد ، الرياض، ط/2، 1427ه/2006م.
(75) - ينظر: حاشية الخضري : 509/2.
(76) - ينظر: مغني اللبيب : 87/1 ، وهمع الهوامع : 134/2.
77- ألفية ابن مالك : 119.
(78) - مغني اللبيب : 87/1 .
(79) سورة الانشقاق : 1.
(80) سورة التوبة : 6.
(81) - ينظر: شرح التسهيل : 213/2, والجنى الداني في حروف المعاني :368.
(82) - سورة التكوير:1.
(83) - الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي :484/6، تح: علي محمد عوض وآخرون ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، ط/1، 1414ه/1994م.
84 - ديوان لبيد بن ربيعة :116 .
(85) - ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني : 373 – 374.
86 – ينظر: شرح المفصل :95/4 -96 .
(87)- ينظر: شرح التصريح على التوضيح: 40/2، تح : لجنة من العلماء ، المكتبة التجارية الكبرى ، ط/1 ، 1374ه/1954م.
88 - ديوان الأعشى : 55 ، تح : محمد حسين ، مكتبة الآداب بالجماميز ، القاهرة ، د.ط.ت .
(89) - سورة الإسراء:83.
(90) - سورة الإسراء:107.
(91) - سورة الإسراء:107.
92 - سورة الطلاق :1 .
(93) - شرح ابن ناظم على ألفية ابن مالك:279، تح:محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1420ه/2000م.
(94) - تنقيح الأزهرية محمد محي عبد الحميد: 216، دار أضواء السلف ، القاهرة ، د.ط.ت .
(95) - المحيط في أصول العربية : 3/ 90.
96 - ديوان النمر بن تولب العكلي :48 ، تح : محمد نبيل طريفي ، دار صادر ، بيروت ، ط/1 ،2000م.
وقبل هذا البيت قال :
لا تغضبنَّ على امرئٍ في ماله وعلى كرائم صُلب مالكَ فاغْضَبِ
97 - الكليات للكفوي : 69 .
98 - ديوان شرح المفضّليات ، لأبي العباس الضبي ، شرح أبي محمد القاسم بن الأنباري : 159 ، تح : كارلوس يعقوب لايل ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ، 1920م.
(99) - ينظر: المعجم الوافي في أدوات النحو العربي ، علي توفيق الحمد ، يوسف جميل الزعبي :37 ، دار الأمل الأردن ، ط/2 ، 1414ه/1993م. والتضمين النحوي في القرآن الكريم :129/1.
(100) سورة البقرة:13.
(101) - ينظر: حاشية الشهاب (عناية القاضي وكفاية الرّاضي) على تفسير البيضاوى :333/1، دار صادر، بيروت ، د.ط.ت.

(102) ـ ينظر: المحيط في أصول العربية :3/ 90.
103 ـ ديوان طرفة بن العبد : 36 .
(104) ـ البرهان في علوم القرآن :3/149،148.
(105) ـ الحديث أخرجه البخاري في كتاب النكاح: 4 /1681.
(106) سورة الواقعة:1.
(107) سورة الواقعة:3.
(108) سورة الزمر:73.
(109)ـ ينظر: شرح التسهيل لابن مالك :2/ 210، 211، والتذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل ، لأبي حيان الأندلسي :6/309، تح : حسن هنداوي ، كنوز إشبيليا ، الرياض ، ط/1، 1426ه/2005م ، ومعترك الأقران في إعجاز القرآن:2/50.
(110) ـ ينظر: المساعد على تسهيل الفوائد :1/ 509 ، ومعترك الأقران في إعجاز القرآن : 2/50.
111ـ سورة طه : 20
112 ـ سورة الأعراف : 108 .
(113) ـ ينظر: المصباح المنير لأحمد بن محمد الفيومي المقري : 4 ، مكتبة لبنان ، بيروت ، د.ط ، 1987 م.
(114) ـ ينظر : القاموس المحيط ، للفيروزآبادي :44-45 ، تح : أنس محمد الشامي ، زكريا جابر أحمد ، دار الحديث ، القاهرة ، د.ط، 1429هـ/2008م.
(115) ـ سورة المؤمنون:91.
(116) ـ تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور:18/114،الدار التونسية للنشر ، تونس ، د.ط ، 1984م.
(117) ـ سورة التوبة: 6.
(118) ـ سورة الانفطار:1.
(119) ـ سورة الأنبياء:34.
(120) ـ البرهان في علوم القرآن: 4/178.
121 ـ نسبه صاحب فتح الكبير المتعال لطرفة بن العبد ولم أجده في ديوانه ينظر: فتح الكبير المتعال :1/219.
(122) ـ سورة الأعراف :131.
(123) ـ تفسير التحرير والتنوير:9/ 64-65.
(124) ـ ينظر: البرهان في علوم القرآن :4/181،180.